الدَّيْلَمُ

وأمَّا الدَّيْلَمُ وما يتَّصل بها: فمن ناحية الجنوب قزوين، والطَّرْم وشيءٌ من أذربيجان وبعض الريّ ويتَّصل بها من جهة المشرق بقيَّة الريّ، وطبرستان ويتصل بها من جهة الشمال بحر الخزر، ومن جهة المغرب شيءٌ من أذربيجان وبلدان الرَّان وقد ضممنا إلى ذلك ما يتَّصل بها من جبال الروبنج وقادُوسِيَان وجبال قارن وجرجان، وأمَّا بحر الخزر فقد أفردنا له صورة، وقد صوَّرنَا الدَّيْلَم وما يتَّصل بها.

وسنذكر من مدنها، وما يقع في أضعافها مثل ما ذكرنا من غيرها، وأمَّا الديلم فإنَّها سهل وجبل، وأمَّا السهل فهم الجيل وهم مفترشون على شطّ البحر تحت جبل الديلم، وأمَّا الجبل فللديلم المحض وهي جبال منيعة، والمكان الذي يقيم به الملك يسمَّى رُوذبار وبه يقيم آل جستان ورياسة الدَّيلم فيها، وزعم بعض النَّاس أنَّ الديلم طائفة من بني ضبَّة ومواضعهم كثيرة الأشجار والغياض، وأكثر ذلك للجيل في الوجه الذي يقابل البحر وطبرستان، وقراهم مفترشة، وهم أهل زرع وسوائم، وليس عندهم من الدواب ما يستقلُّون بها، ولسانهم مفرد غير العربيَّة والفارسية، وفي بعض الجبل فيما بلغني طائفة منهم يخالفون بلسانهم لسان الجيل والديلم، والغالب على خلقة الديلم النحافة وخفَّة الشعر والعجلة وقلَّة المبالاة، وقد كان الديلم دار كفر يسبى من رقيقهم إلى أيَّام الحسن بن زيد فتوسَّطهم العلويَّة، وأسلم بعضهم، وفيهم إلى يومنا هذا كفَّار بالجبال المتَّصلة بها، والروبنج وجبال قادوسيان وقارن: هي جبال ممتنعة لكلِّ جبل منها رئيس، والغالب عليها الأشجار العالية، والغياض، والمياه، وهي خصبة جدًّا، فأمَّا جبل قارن، فإنَّها قرى لا مدينة بها إلاَّ سهمار على مرحلة من سارية، ومستقرُّ آل قارن بموضع

يسمَّى فِرِيم، وهو موضع حصنهم وذخائرهم ومكان ملكهم، ويتوارث صاحب الجبل المملكة بها منذ أيام الأكاسرة، وجبال قادوسيان جبال مملكة، ورئيسهم يسكن قرية تسمَّى أُرَم وليس بجبال قادوسيان منبر، وبينها وبين سارية مرحلة.

وأمَّا جبال الروبنج فإنَّها كانت ممالك، إلا أنَّ في هذا العصر قد فنيت ملوكهم، وهم من الريّ وطبرستان فما كان في وجه الريّ فمن حدود الريّ، وما كان من وجه طبرستان فمن طبرستان، والمدخل إلى الديلم من طبرستان على سالوس، وهي على البحر ولها منعة إذا استوثق منها بالشحنة صَعُبَ المسلك على أهل الديلم إلى طبرستان، وبين هذه الجبال من حد الديلم إلى أَسْتَرَاباذ إلى البحر أكثره يوم، وربَّما ضاق؛ حتَّى يضرب الماءُ الجبل فإذا قرب الديلم إلى الجيل اتَّسع؛ حتَّى صار بينه وبين البحر مسيرة يومين وأكثر.

وأمَّا نواحي قزوين فإنَّ الذي يتَّصل بها من المدن: أَبْهَر وزَنْجَان والطالَقَان ويتَّصل بالريّ الخُوَار وشَلَنْبَة وويَمة، وتقع في قومس سِمْنان والدامَغان وبِسْطام، وتقع في طبرستان آمُل وناتِل وسالُوس وكَلاَر الرُّويان وميلة وبرجي وعين الهُمّ، ومامَطير وساريَة وطَمِيسة وتقع في عمل جرجان، جُرْجان وأَسْتَرَاباذ وآبسْكُون ودِهِسْتَان، وأمَّا جبال الروبنج وقادوسيان وقارن فلستُ أعرف بها منبرًا غير سهمار وهي في جبال قارن.

وأعظم هذه المدن الرَّيُّ، وهي مدينة إذا جاوزت العراق إلى المشرق فليس مدينة أعمر-ولا أكبر ولا أيسر- أهلاً منها إلى آخر الإسلام، إلاَّ نيسابور فإنَّها في العرصة أوسع، فأمَّا اشتباك الأبنية والعمارة واليسار؛ فإنَّ الريَّ تفضلها وطولها فرسخ ونص في مثله وبناؤها طين، وقد يُستعمل فيها الجصُّ والآجرُّ، ولها أبواب مشهورة منها باب طاق يخرج منه إلى الجبال،

والعراقَ وباب بليسان يخرج منه إلى قزوين، وباب كُوهكين يخرج منه إلى طبرستان، وباب هشام يخرج منه إلى قومس وخراسان، وباب سين يخرج منه إلى قُمّ، ومن أسواقها المشهورة رُوذة وبليسان ودهك نو ونَصْرَاباذ وسَارْبَانان، وباب الجبل، وباب هشام وباب سين، وأعمرها الرُّوذة فإنَّ بها معظم التجارات والخانات، وهو شارع عريض مشتبك الخانات والأبنية، ولها مدينة عليها حصن، وفيها مسجد الجامع وأكثر المدينة خراب، والعمارة في الربض، ومياههم من الآبار، ولها أيضًا قُنيٌّ، ولهم في المدينة نهران للشرب: أحدهما يسمَّى سورقنى يجري على الروذة، والآخر الجيلاني يجري على ساربانان ومنهما شربهم، ولهم قنيٌّ كثيرة ما يفضل عن مشربهم ويتفرَّع إلى ضياعهم، ونقودهم الدراهم والدنانير، وزيُّ أهلها زيُّ العراق ويرجعون إلى مروَة، ولهم دهاءٌ وتجارب، وبها قبر محمَّد بن الحسن الفقيه والكِسَائيّ المقرئ والفَزَاريّ المنجّم.

وأمَّا الخُوَار فإنَّها مدينة صغيرة نحو ربع ميل، وهي، عامرة وبها ناس يرجعون إلى شرف، ولهم ماءٌ جارٍ يخرج من ناحية دُنْبَاوَنْد، ولهم ضياع ورساتيق، وأمَّا ويمَة وشَلَنْبَة فهما من ناحية دُنْبَاوَنْد، وهما مدينتان صغيرتان أصغر من الخوار وأكبرهما ويمة، ولهما زروع ومياه وبساتين، ولهم أعناب كثيرة وجوز وهي أشدُّ تلك النواحي بردًا، وللريّ سوى هذه المدن قرى تزيد في الكبر على هذه المدن كثيرًا مثل سُدّ ووَرَامين وأَرَنْبُويَه وورزنين ودزاه وقوسين، وغير ذلك من القرى الَّتي بلغني أنَّ فيها ما يزيد أهله على عشرة آلاف رجلٍ، ومن رساتيقها المشهورة قَصْرانُ الداخل والخارج، وبهْزان، والسِّنُّ، وبشاويه، ودُنْبَا ورستاق قوسين، وغير ذلك، ويرتفع من الريّ ممَّا يجلب إلى غيرها القطن الذي يحمل إلى بغداد وأذربيجان ومن الثياب المنيَّرة والإبراد والأكسية.

وليس لجميع هذه النواحي نهر يجري فيه السفن، وأمَّا الجبال فإنَّ من حدِّ عمل الريِّ دنباوند، وهو جبل رأيتُهُ أنا من وسط رُوذَة بالريّ وبلغني أنَّهُ يُرَى من قرب ساوة، وهو جبل وسط جبال يعلو فوقها كالقبَّة، ويحيط بالموضع الَّذي يعلو على الجبال نحو أربعة فراسخ، ولم يصحَّ عندي أنَّ أحدًا ارتقى أعلاه، وفي حماقات الأوَّلين أنَّ الضحّاك المَلِك مُقَيَّد بها وأنَّ السحرة يجتمعون إليه في أعلاه، ويرتفع من أعلاه دخان دائم الدهر كلِّه، وحوالي هذه القلَّة قرى، منها: قرية ديبران ودرمية وبرا وغيرها من القرى، وكان عليُّ بن شَرْوِين الَّذي أُسِر على وادي جيحون من قرية درمية، إلاَّ أنَّ القلَّة التي ترتفع عن هذه البقعة جبل أقرع، وليس عليه كثير شجر ولا نبات، ولا يُعْلم بسائر الجبال، ونواحي الديلم جبل أعظم منه.

وأمَّا قُومِس فإنَّ أكبر مدينة بها الدَّامَغَان، وهي مدينة أكبر من خُوَار الريّ، وسِمْنَان أصغر منها، وبِسْطام أصغر من سمنان، والدّامغان قليلة الماء، وهي متوسِّطَة العمارة، وبسطام أكبر منها عمارةً وأكثر فواكه، ويحمل إلى العراق من بسطام فواكه كثيرة، ويرتفع من قُومس أكسية معروفة تحمل إلى الأمصار.

وأمَّا قَزْوِين فإنَّها مدينة عليها حصن، وداخلها مدينة صغيرة عليها حصن، ومسجد الجامع في المدينة الداخلة، وهي مدينة ماؤها من السماء والآبار، وليس بها نهر إلاَّ قناة صغيرة للشرب ولا يفضل لزروعهم، وهي خصبة مع قلَّة مياهها، وهي ثغر الديلم، بها فواكه، وأعناب كثيرة، وزبيب يحمل إلى الآفاق وتكون نحو ميل في ميل، وأَبْهَر وزَنْجان صغيرتان خصيبتان كثيرتا المياه والأشجار والزروع، وزنجان أكبر من أبهر غير أن أهل زنجان الغالب عليهم الغفلة.

أمَّا طبرستان فإنَّ أكبر مدنها آمُل، وهي مستقرَّة الولاة في هذا العصر،

وكانوا في قديم الأيّام يسكنون سارية، وطبرستان بلد كثير المياه، والثمار، والأشجار الجبلية والسَّهلية، والغالب عليها الغياض، والغالب على أبنيتها الخشب والقصب، وهي كثيرة الأمطار شتاءً وصيفًا وسطوحهم مُسَنَّمَة لذلك، وآمُل أكبر من قزوين مشتبكة العمارة، لا يعلم بقدرها أعمر منها في هذه النواحي، ويرتفع من طبرستان من الإبرسيم ما يُمَير الآفاق، وليس في الإسلام مدينة أكثر منها إبريسم، وبها خشب كثير من أصلب الخشب ينحت منها آنية وأطباق تنقل إلى الآفاق، والغالب على أهلها وفور الشعر، واقتران الحواجب، وسرعة الكلام، والعجلة، وخبزهم أكثره من الأرزّ وأكثر طعامهم السمك، وكذلك الديلم والجيل، ويُعْمَل بطبرستان ثياب كثيرة من الحرير تنقل إلى الآفاق، وكذلك من الصوف والفُرُش والأكسية وغير ذلك، وليس بجميع طبرستان نهر تجري فيه سفينة، إلاَّ أنَّ البحر منها قريب على أقلَّ من يوم، غير أنَّ بجميع طبرستان الماء، والغياض غالب بها إلاَّ في الأماكن الجبليَّة، وأمَّا بطن طبرستان فالغالب عليها الندى والنزوز.

وأمَّا جُرْجَان فأكبر مدنها جُرْجان وهي أكبر من آمُل وبناؤها من طين وهي أيبس تربة من آمُل وأقلُّ مطرًا وأنداءً من طبرستان، وأهلها أحسن وقارًا ومروَّةً ويسارًا في كبرائهم، وهي قطعتان: إحداهما المدينة، والأخرى بَكْرَاباذ، بينهما نهر يجري كبير يحتمل أن تجري فيه السفن، ويرتفع فيها من الإبريسم شيءٌ كثير وإبريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان، ولا يرتفع من بزر طبرستان إبريسم، ولهم مياه كثيرة وضياع عريضة، وليس في المشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة بقدر جرجان أخصب ولا أجمع منها؛ وذلك أنَّ بها الثلج، والنخيل وبها فواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه، وأهلها أصحاب مروَّة يتبارون في المروَّات ويأخذون أنفسهم بالتأني والأخلاق المحمودة، وقد خرج منهم رجال كثيرون موصوفون بالسرو منهم

العَمْركي صاحب المأمون، ونقودهم ونقود طبرستان الدنانير والدراهم، وأوزانهم المنا ستُّمائة درهم، وكذلك بالريّ وطبرستان وقومس مناها ثلاثمائة درهم، وأَسْتَرَابَاذ يرتفع بها إبريسم، كثير ولهم فرضة على البحر يركبون منها إلى الخزر، وإلى باب الأبواب والجيل والديلم وغير ذلك، وليس في هذه الناحية الَّتي ذكرتُها فرضة أجلُّ من آبَسْكُون ولهم ثغر يعرف برباط دِهِسْتان وبها منبر، وهو ثغر للغُزِّيَّة الأتراك، ويتَّصل حدُّ جرجان بالمفازة الَّتي تَلِي خوارزم، ومنها تجيئهم الأتراك.

ذكر مسافات هذه الديار

الطريق من الريّ إلى حدِّ أذربيجان من الريّ إلى قزوين ٤ مراحل، ومن قزوين إلى أبهر مرحلتان خفيفتان، ومن أبهر إلى زنجان يومان، أوفر ممَّا بين قزوين وأبهر، ومن أراد الطريق القصد لم يدخل قزوين، وجعل الطريق على قرية تسمَّى يزداباذ من رستاق دَسْتَبى، والطريق من الريّ إلى الجبال، ومن الريّ إلى قُسْطَانة مرحلة، ومن قسطانة على مشكويه مرحلة، ومن مشكويه إلى ساوة مرحلة ٩ فراسخ، وساوة ربَّما كانت من عمل الجبال وربَّما كانت من عمل الريِّ، والطريق من الريّ إلى طبرستان من الريّ إلى برزيان مرحلة خفيفة، ومن برزيان إلى نامهند مرحلة كبيرة، ومن نامهند إلى أسك مرحلة، ومن أسك إلى بلور مرحلة، ومن بلور إلى كنازل مرحلة ٦ فراسخ، ومن كنازل إلى قلعة اللاَّزر مرحلة ٥ مراسخ، ومنها إلى فرست مرحلة ٦ فراسخ، ومنها إلى آمُل مرحلة، الطريق من الريّ إلى خراسان على قومس من الريّ إلى أفرندين مرحلة، ومن أفرندين إلى كهدة مرحلة، ومن كهدة إليخُوَار مرحلة ومن خوار إلى قرية الملح مرحلة، ومن قرية الملح إلى رأس الكلب مرحلة، ومن رأس الكلب إلى سِمْنان مرحلة، ومن سمنان إلى علياباذ مرحلة، ومن علياباذ إلى جرمجوي مرحلة، ومن جرموجوي إلى الدامغان مرحلة، ومن

الدامغان إلى الحدَّادة مرحلة ومنها إلى بَذَش مرحلة، ومنها إلى المورجان مرحلة كبيرة، ومنها إلى هَفْدَرَ مرحلة، ومنها إلى أَسَدَأباذ مرحلة، وهي من عمل نيسابور الطريقة من طبرستان إلى جرجان، ومن آمل إلى ميلة فرسخان، ومن ميلة إلى برجي ٣ فراسخ، وهما جميعًا مرحلة ومنها إلى سارية مرحلة، ومنها إلى مارست مرحلة، ومنها إلى أبادان مرحلة، ومنها إلى طَميسَة مرحلة، ومنها إلى أَسْتَرَاباذ مرحلة، ومنها إلى رباط حفص مرحلة، ومنها إلى جرجان مرحلة، ومن أراد أن يخرج من آمل إلى مامَطير مرحلة، ومنها إلى سارية مرحلة، ولا يجعل طريقه على برجي فهو أقصد وإنَّما ذكرنا الأطول؛ لأنَّ فيه منبرين، الطريق من آمل إلى الديلم: من آمل إلى ناتِل مرحلة، ومن ناتل إلى سالُوس مرحلة خفيفية، ومن سالوس إلى كَلاَر مرحلة ومنه إلى الديلم مرحلة، ومن آمل إلى البحر إلى عين الهُمّ مرحلة خفيفة، الطريق من جرجان إلى خراسان: من جرجان إلى دينارزاري مرحلة، ومن دينارزاري إلى املوتلو مرحلة، ومن أملوتلو إلى أجغ مرحلة، ومن أجغ إلى سيبداست مرحلة، ومن سيبداست إلى أَسْفَرَائِين مرحلة، الطريق من جرجان إلى قومس: من جرجان إلى جُهَينة مرحلة، ثَمَّ منها إلى بسطام مرحلة.